الباب السبعون

في ذكر المستحق لهذه البشرى دون غيره

قال [الله] تعالى: ﴿وبشرِ الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ أنَّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ألا إنَّ أوْلياء الله لا خَوْفٌ عَلَيْهم ولا هُم يَحزنونَ. الذينَ آمنُوا وكانُوا يتَّقُونَ، لهمُ البُشرىٰ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ لا تبديلَ لكَلِماتِ الله ذلكَ هُو الفَوزُ العَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ قالوا ربُّنا الله ثم استقامُوا تتنَزلُ عليهم الملائكةُ أنْ لا تَخافُوا ولا تحزنُوا وأبشرُوا بالجنةِ التي كنتمْ تُوعدونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فبشرْ عبادِ. الذين يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ أولئكَ الذينَ هداهُمُ الله وأولئكَ هُمْ أولوا الألبابِ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿الذينَ آمنوا وهاجرُوا وجاهدُوا في سبيلِ الله بأموالِهم وأنفسِهم أعظمُ درجةً عندَ الله وأولئك هُمُ الفائزونَ. يُبشرهمْ ربُّهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ. خالدينَ فيها أبداً إنَّ الله عندَه أجرٌ عظيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ في رَوْضاتِ الجناتِ لَهُمْ ما يشاؤونَ عندَ ربِّهم ذلكَ هُو الفضلُ الكبيرُ. ذلك الذي يبشرُ الله عبادَهُ الذينَ آمنوا وعملوا الصَّالِحاتِ﴾[الشورى: ٢٢ - ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿إنَّما تُنذِرُ من اتَّبَعَ الذِّكْرَ وخَشِيَ الرَّحْمنَ بالغَيبِ فبشِرْهُ بمغفرةٍ وأجْرٍ كريمٍ﴾ [يس: ١١]. وقال تعالى: ﴿يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً.

وداعِياً إلى الله بإذْنِهِ وسِراجاً مُنيراً. وبشّرِ المؤمنينَ بأنَّ لهمْ من الله فضلاً كبيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧]. وقال تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذينَ قتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يرزقونَ. فَرِحينَ بما آتاهُمُ الله من فضلِهِ ويَستبشرونَ بالذينَ لم يلْحَقُوا بِهِمْ من خَلْفِهِمْ أنْ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، [يستبشرونَ بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأنَّ الله لا يضيعُ أجرَ المؤمنين]﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]. وقال تعالى: ﴿إن الله اشترى مِنَ المؤمنينَ أنفسَهُمْ وأموالَهمْ بأنَّ لهمُ الجنةَ يُقاتلونَ في سبيلِ الله فيقتلون ويُقتلونَ وعداً عليهِ حقاً في التوراةِ والإنجيل والقرآنِ ومن أوفى بعهدِهِ منَ الله فاستبشرُوا ببيعكم الذي بايعتمْ به وذلكَ هو الفوزُ العظيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُم بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وبشر الصابرينَ. الذينَ إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعونَ. أولئكَ عليهم صَلَواتٌ مِنْ ربِّهم ورحمةٌ وأولئكَ هم المهتدونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وأُخرىٰ تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ الله وفتحٌ قريبٌ وبشرِ المؤمنينَ﴾ [الصف: ١٣]، وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ للمُتقينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال: ﴿أُعدتْ للذينَ آمنُوا بالله ورُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]. وقال: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ كانتْ لهم جناتُ الفِرْدَوسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧]،وقال تعالى: ﴿قَدْ أفْلَحَ المؤمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أولئكَ هُمُ الوارثُونَ الذِينَ يَرثُونَ الفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

وفي «المسند» وغيره أن النبي ﷺ قال: «قد أنزلت عليَّ عشرُ آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قدْ أفلحَ المؤمنونَ﴾ حتى ختم العشر آيات»[1]. وقال تعالى: ﴿إنَّ المسلمينَ والمسلمات﴾ إلى قوله ﴿أَعَدَّ الله لَهُمْ مَغْفِرَةً وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]،وقال تعالى: ﴿التائبونَ العابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بالمعروفِ والنَّاهُونَ عن المنكرِ والحافِظُونَ لحدُودِ الله وبَشّرِ المؤمنينَ﴾ [التوبة: ١١٢] وقال تعالى:

(١) أخرجه أحمد ١/٣٤.

﴿تلكَ الجنةَ التي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنا مَنْ كانَ تَقِياً﴾ [مريم: ٦٣] وقال تعالى: ﴿وسارِعُوا إلى مغفرةٍ من ربِّكُمْ وجنةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأرضُ أُعِدتْ للمتقينَ. الذينَ يُنفقونَ في السراءِ والضَّراءِ والكَاظِمينَ الغَيظَ والعافِينَ عن النَّاسِ والله يحبُّ المحسنينَ. والذين إذا فَعَلوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفسَهمْ ذَكَروا الله فاستغفرُوا لِذُنُوبهم ومَنْ يَغفرُ الذُّنوبَ إلَّا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمونَ. أولئكَ جزاؤُهم مغفرةٌ من رَبِّهم وجَنَّاتٌ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ونِعْمَ أجْرُ العامِلين﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦] وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُكم على تِجارَةٍ تُنجيكمْ من عَذَابٍ أليمٍ. تُؤْمِنُونَ بالله ورَسُولِه وتجاهِدُونَ في سبيلِ الله بأموالِكم وأنفسِكم ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنتُم تَعْلَمونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ المؤمنينَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣] وقال تعالى: ﴿ولِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وأمّا مَنْ خافَ مَقامَ ربِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عنِ الهَوَى فإنَّ الجنّةَ هِيَ المأوى﴾ [النازعات: ٤٠].

وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، وأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارتْ بشاراتُ القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه ـ وضدّها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون ـ ويرجع إلى خصلة واحدة، وهي موافقةُ الربِّ سبحانه وتعالى في محابِّه، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي «بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1]، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها إلى تصديق الرسول في كلِّ ما

---

(١) قطعة من حديث صحيح أخرجه مسلم (٣٥) (٥٨) في الإيمان، وابن ماجه (٥٧) في المقدمة، وأحمد ٢/٤٤٥، والترمذي (٢٦١٧) في الإيمان، وأبو داود (٤٦٧٦) في السنة، وابن حبان (١٦٦) في «الإحسان».

أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً، كالإيمان بأسماء الربِّ وصفاتِهِ وأفعاله من غير تحرِيفٍ لها ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

كما قال الشافعي رحمه الله: الحمد لله [الذي] هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه، وكأنه أخذ هذا من قول النبي ﷺ «اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ كالذي نقولُ وخيراً مِمَّا نقول»(١).

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها، كما حكاه الأشعري عنهم، ونحن نحكي إجماعهم، كما حكاه حربٌ صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، في «مسائله» المشهورة:

هذا مذهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحقّ.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد(٢)، وعبدالله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، فكان من قولهم: إن الإيمانَ قولٌ وعمل، ونية وتمسكٌ بالسنَّة، والإيمانُ يزيد وينقص، ويستثنى منه في الإيمان غير أن يكون الاستثناء شكاً، إنما هي سنةٌ ماضيةٌ عند العلماء. فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ أو مؤمن أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته [وكتبه] ورسُله.

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل، فهو مرجيءٌ، ومن زعم أن الإيمان هو القول، والأعمال شرائع فهو مرجيء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٠) في الدعوات: باب (٨٨) وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقوي.

(٢) في الأصل: وإسحاق عن إبراهيم بن مخلد.

ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد قال: قول المرجئة، ومن لم يَرَ الاستثناء في الإيمان فهو مرجىء.

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجىء. ومن زعم أن المعرفة تقع في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجىءٌ، والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحُلوه ومُرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده، وقدَرٌ قدّره عليهم لا يعدو أحد منهم مشيئة الله عز وجلّ ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلّهم صائرون إلى ماخلقهم له، واقعون فيما قدره عليهم، وهو عدل منه جلَّ ربُّنا وعزَّ.

والزنى والسرقة، وشرب الخمر، وقتل النفس، وأكل المال الحرام، والشرك والمعاصي كلّها بقضاء الله وقدر من الله من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله الحجة البالغة على خلقه ﴿لا يُسأَلُ عمَّا يَفْعَل وهُم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وعلم الله عزَّ وجلَّ ماضٍ في خلقه بمشيئة منه [فهو سبحانه] قد علم من إبليس، ومن غيره ـ ممن عصاه من لدنْ عُصي تبارك وتعالى إلى أن تقوم الساعة ـ المعصيةَ وخلَقهم لها.

وعلم الطاعةَ من أهل الطاعةِ وخلقِهم لها، فكلٌّ يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضي عليه، لايعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفعال لما يريد، ومن زعم أن الله سبحانه [وتعالى] شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشرَ والمعصيةَ، فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تبارك وتعالى، وأي افتراء على الله أكبر من هذا؟

ومن زعم أن الزنى ليس بقدر، قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنى، وجاءت بولد، هل شاء الله عزَّ وجلَّ أن يخلق هذا الولد، وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقاً، وهذا الشرك صراحاً.

ومن زعم أن السرقة، وشرب الخمر، وأكلَ المال الحرام ليس بقضاء،

فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صُراح قول المجوسية، بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأي كفرٍ أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء الله عزَّ وجلَّ، وذلك عدل منه في خلقه، وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم، وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد.

ومن أقرّ بالعلم لزمه الإقرار بالقدرِ، والمشيئة على الصِّغَر والقماءة[1]، ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار، لذنب عمله، ولا لكبيرةٍ أتاها، إلا أن يكون ذلك في حديث جاء، ولا ننص الشهادة، ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله، ولا بخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث.

كما جاء على ما رُوي، وننصُّ الشهادة والخلافة في قريش ما بقي في الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا نخرج عليهم، ولا نقرّ لغيرهم بها إلى قيام الساعة، والجهاد ماضٍ قائم مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بررةً عدولاً أتقياء، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيءِ والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جَاروا، والانقياد لمن ولّاه الله عز وجل أمركم، لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه بسيف، حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعة فمن فعل ذلك، فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقّه، والإمساك في الفتنة سنةٌ ماضيةٌ واجبٌ لزومها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك، ولا تعن على الفتنة بيد ولا بلسان، ولكن أكفف يدك ولسانك وهواك، والله المعين.

والكفّ عن أهل القبلة، فلا تكفر أحداً منهم بذنب، ولا تخرجه من

---

(١) القماءة: الصغر والذل والحقارة.

الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء، وكما روي فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روي: [نحو كفر من يستحلّ] ترك الصلاة، وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر، والخروج من الإسلام، فاتبع ذلك ولا تجاوزه، والأعور الدجال خارجٌ لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين.

وعذاب القبر حقٌّ، يُسأل العبد عن دينه، وعن ربه، وعن الجنة والنار، ومنكر ونكير حقّ، وهما فَتّانا القبر. نسأل الله الثبات.

وحوض محمد ﷺ حقٌّ، حوض ترده أمته، وله آنية يشربون بها منه.

والصِّراطُ حقٌّ يوضع على سواءِ جهنم، ويمرُّ الناس عليه، والجنة من وراء ذلك. والميزان حقٌّ توزن به الحسنات والسيئات، كما شاء الله أن توزن. والصورُّ حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق، ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لِرَبِّ العالمين للحساب، وفصل القضاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار.

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد، لما سبق فيه من المقادير والقضاء. والقلم حقّ كتب الله به مقادير كل شيء، وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حقٌّ يشفع قوم في قوم، فلا يصيرون إلى النار. ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها، ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبداً، وهم أهل الشرك والتكذيب، والجحود والكفر بالله عزّ وجلّ، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عزَّ وجلَّ، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً. فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وبنحو هذا من متشابه القرآن، قلْ له: كلُّ شيءٍ ممّا كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء، ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتْن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبداً، لأن الله عزَّ وجلَّ خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال: خلاف هذا فهو مبتدع ضلّ عن سواء السبيل، وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا إلى السماء الدنيا مسيرة خمس مئة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمان عزَّ وجلَّ فوق الماء، والله عزَّ وجلَّ على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كلِّ ورقةٍ، وعدد كلِّ كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العبادِ وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم به، فإن احتج مبتدع و مخالف بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ونحنُ أقربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوريدِ**﴾ [ق: ١٦]. وبقوله تعالى: ﴿**ما يكونُ من نَجْوى ثلاثةٍ إلا هُوَ رابعهُم [ولا خَمْسةٍ إلا هو سادسُهمْ ولا أدْنى مِنْ ذَلكَ ولا أكثَر]إلاَّ هُو معَهم أينما كانوا**﴾ [المجادلة: ٧]. ونحو هذا من متشابه القرآن. فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله عزَّ وجلَّ على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله وهو بائنٌ من خلقه، لا يخلو من علمه مكانٌ. ولله عزَّ وجلَّ عرشٌ، وللعرش حملةٌ يحملونه، والله عزَّ وجلَّ [مستو] على عرشه وليس له حدٌّ. والله عزَّ وجلَّ سميعٌ لا يشكّ، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، ولا يسهو. قريب لا يغفل، ويتكلم وينظر ويبسط، ويضحك ويفرح، ويحبُّ ويكرهُ ويبغضُ، ويرضى ويغضب، ويسخطُ [ويرحم]، ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزلُ كلّ ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ﴿**ليس كمثله شيءٌ وهو السَّميع البصيرُ**﴾ [الشورى: ١١] وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلبها كيف يشاء، ويوعيها ما أراد، وخلق آدم بيده على صورته، والسماوات والأرض يوم القيامة في كفِّه، ويضع قدمه في النار فتنزوي، ويخرج قوماً من النار بيده، وينظر إلى وجهه أهل الجنة، ويرونه

فيكرمهم ويتجلى لهم، وتعرض عليه العباد يوم القيامة، ويتولى حسابهم بنفسه لا يلي ذلك غيره عزَّ وجلَّ.

والقرآن كلام الله تكلم به، وليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله [ووقف]، فلم يقل: ليس بمخلوق، فهو أخبث من القول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا له مخلوقة، والقرآن كلام الله فهو جهمي ﴿وكَلَّم الله موسى تكليماً﴾ منه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده. ولم يزل الله عز وجل متكلماً، والرؤيا من الله حقٌّ إذا رأى صاحبها في منامه ليس ضِغثاً، فقصها على عالم وصدَقَ فيها تأويلها العالم على أصل تأويلها الصحيح، ولم يحرّف، فالرؤيا تأويلها حينئذٍ حقٌّ، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً، فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا، ويزعم أنها ليست بشيء؟

وبلغني أن من قال: هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام، وقد روي عن النبي ﷺ: «إنَّ رؤيا المؤمن كلامٌ يكلِّم به الرَّبُ عبدَهُ»[1]. وقال: «إنَّ الرؤيا من الله»[2] وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ والكفُّ عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم.

فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو واحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم، أو عاب أحداً منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

بل حبهم سنةٌ، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر،

---

(١) ذكره في «مجمع الزوائد» ٧/١٧٤، عن عبادة بن الصامت، وقال: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٧) في الطب: باب (٣٩) باب النفث في الرقية، ومسلم (٢٢٦١) في الرؤيا.

وعثمان بعد عمر، وعليٌّ بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديّون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه، ويستتيبه، فإن تاب قُبلَ منه، وإن لم يتبْ أعاد عليه العقوبة، وخلّده الحبس، حتى يموت أو يراجع.

ونعرف للعرب حقّها، وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ «فإن حبَّهم إيمان، وبغضهم نفاق»[1] ولا نقول بقول الشعوبية، وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقّرون لهم بفضل، فإن قولهم: بدعة.

ومن حرّم المكاسب والتجارات، وطلب المال من وجهه، فقد جهل وأخطأ وخالف [بل] المكاسب من وجوهها حلالٌ وقد أحلها الله عز وجل ورسوله، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب [فهو مخالف]، والدينُ إنما هو كتاب الله عزَّ وجلَّ، وآثار وسنن وروايات صحاحٌ عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، والتابعين وتابعي التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم، المتمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار، لا يعرفون ببدعة، ولا يطعن فيهم بكذب، ولا يرمون بخلاف، إلى أن قال: فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر، وأصحاب الروايات وحملة العلم، الذين أدركناهم، وأخذنا عنهم الحديث، وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين، ثقات أهل صدق وأمانة يقتدىٰ بهم، ويؤخذ عنهم، ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف، ولا تخليط، وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك، وتعلموه وعلموه.

---

(١) أخرجه الحاكم ٤/٨٧، وضعفه الذهبي.

قلت: حرب هذا هو صاحب أحمد وإسحاق، وله عنهما مسائل جليلة، وأخذ عن سعيد بن منصور، وعبد الله بن الزبير الحميدي. وهذه الطبقة، وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها، ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث، وجده مطابقاً لما نقله حرب، ولو تتبعناه لكان بقدر هذا الكتاب مراراً، وقد جمعنا منه في مسألة علوّ الرب [تعالى] على خلقه واستوائه على عرشه. وحدها سفراً متوسطاً، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولاً وعملاً واعتقاداً. وبالله التوفيق.

فصل

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأناه به أولاً، وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى: ﴿**إنَّ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ يهدِيْهِمْ ربُّهم بإيمانهم تجري من تحتِهُم الأنهارُ في جناتِ النعيمِ، دَعْواهمْ فيها سبحانَكَ اللهمَّ، وتحيتُهم فيها سلامٌ وآخِرُ دعواهُم أن الحمْدُ لله ربِّ العالمينَ**﴾ [يونس: ٩ - ١٠].

قال حجاج: عن ابن جريج: أُخبرت أن قوله: ﴿**دَعْواهُم فيها سُبحانك اللَّهم**﴾. قال: إذا مرّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللَّهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيسلم عليهم، فيردُّون عليه، فذلك [قوله تعالى]: ﴿**وتحيَّتهمْ فيها سَلامٌ**﴾، قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله [تعالى]: ﴿**وآخِرُ دَعْواهُم أن الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ**﴾.

وقال سعيد، عن قتادة: قوله تعالى: ﴿**دعواهُم فيها سبحانَكَ اللَّهمَّ**﴾ يقول: ذلك قولهم فيها، ﴿**وتحيتُهمْ فيها سَلامٌ**﴾.

وقال الأشجعي: سمعت سفيان [الثوري] يقول: إذا أرادوا الشيء

قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم ما دعوا به، ومعنى هذه الكلمة تنزيهُ الرَّبِّ تعالى وتعظيمه وإجلاله عَمَّا لا يليقُ بِهِ.

وذكر سفيان عن عبدالله بن موهب قال: سمعت موسى بن طلحة قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله، فقال: «تنزيه الله عن السوء»[1].

وسأل ابن الكواء علياً عنها، فقال: كلمةٌ رضيها الله [تعالى] لنفسه.

وقال حفص بن سليمان: حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبيه، عن طلحة بن عُبيدالله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: «هو تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن كلِّ سُوءٍ»[2]. فأخبر [الله] تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا: سبحان الله، وعن آخر دعواهم عند ما يحصلُ لهم، وهو قولهم: ﴿**الحمد لله ربِّ العالمين**﴾[3]. ومعنى الآية أعمُّ من ذلك. والدعوى: مثل الدعاء، يرادُ به الثناء، ويراد به المسألة.

وفي الحديث: «أفضل الدُّعاء الحمدُ لله [ربِّ العالمين]»[4]. فالدعاء ها هنا دعاء ثناء وذكر يلهمه [الله] أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره، فأوله تسبيحٌ، وآخره حمدٌ يلهمونَهما كما يلهمونَ النَّفَس.

---

(١) لم نجده.

(٢) أخرجه البزار (٣٠٨٢) في الأذكار باب في تفسير سبحان الله ولا نعلمه يروى عن طلحة متصلاً إلا بهذا الإسناد، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٩٤، وقال: رواه البزار وفيه عبدالرحمن ابن حماد الطلحي وهو ضعيف.

(٣) انظر «الدر المنثور» ٣/٣٠١ في تفسير قوله تعالى ﴿**دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**﴾.

(٤) حديث حسن، أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) في الدعوات، وابن ماجه (٣٨٠٠) في الأدب ولفظه: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله».

=

وفي هـذا إشـارة إلى أن التكـاليف في الجنـة تسقطُ عنهم، ولا تبقى عبـادتُهم إلا هذه الـدعـوىٰ التي يُلهمـونَهـا، وفي لفـظة: «اللَّهُمَّ» إشـارة إلى صريح الـدعاءِ، فـإنها متضمنـة لمعنىٰ يا الله، فهي متضمنـةٌ للسؤال والثناءِ، وهـذا هو الـذي فهمـه من قـال: إذا أرادوا الشيء قـالـوا: سبحـانـك اللَّهُم، فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه، مـع أنهم قصَّروا بـه، فإنهم أوهمـوا أنهم إنما يقولون ذلك: عندما يريدون الشيء، وليس في الآيـة ما يـدلُّ على ذلك، بل يدلُّ على أن أول [دعائهم] التسبيح، وآخره الحمد.

وقد دلّ الحديث الصحيح على أنهم يُلْهمون ذلـك كإلهـام النَّفس، فلا تختص الـدعوى المـذكورة بـوقت إرادة الشيء، وهذا كمـا أنه الأليق بمعنى الآية، فهو الأليق بحالهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

= ورد في آخـر النسخة المخـطوطة: نجـزت كتـابـة حـادي الأرواح إلى بـلاد الأفـراح بمعـونـة المتفضل الفتاح وذلك تاسع عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٣ هـ أحسن الله ختـامها على يـد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن محيي الدين يحيى بن أحمـد بن الدويك الشافعي الـدمشقي سكناً وذلك بالجامع الكبير بطرابلس المحروس حماه الله تعالى، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمـد لله رب العالمين.

تمّ تحقيقهُ والتعليق عليه في غرة شهر الله المحرم سنة ١٤١٠ هـ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

obeikandl.com